College of Basic Education Researchers Journal. ISSN: 7452-1992 *Vol. (18), No.(3), (2022)*

العلاقات التجارية بين مدن الساحل الفينيقي ومصر القديمة

سعد عمر محمد امين
جامعة الموصل كلية التربية الاساسية
(قدم للنشر ٢٠٢١/٩/١٦ ، قبل النشر ٢٠٢٢/٥/٢٢)

الملخص:

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على العلاقات التجارية بين مدن الساحل الفينيقي ومصر القديمة, لما لهذه العلاقة من أهمية كبيرة في حياة مصر القديمة والتي كانت تفتقر للمواد الخام ولاسيما الاخشاب التي كانت تستخدم بشكل اساسي في صناعة السفن وفي اعمال البناء ومستلزمات الطقوس الجنائزية الخاصة بالدفن, وغيرها من الاعمال التي يدخل الخشب فيها بشكل أساسي, وكانت مدن الساحل الفينيقي التي تتميز بالغابات الكثيفة ذات الأشجار المعمرة والمتميزة بالجودة العالية وهي مهمة جدا بالنسبة للمصريين القدماء كما سبقت الاشارة الى ذلك, فضلا عن كونها مصدرا مهما للعديد من المواد الاولية مثل الأقمشة والمطرزات, الجلود, قار يهوذا, بخور, عبيد, عطور, الأحمر الأرجواني, الاحجار الثمينة, المصنوعات الزجاجية. وكذلك الموقع الجغرافي الذي كانت تتمتع به تلك المدن , كل هذه العوامل لاشك أنها كانت محط أنظار دول المنطقة ومنها مصر للاستفادة من مواردها اما عن طريق التجارة او السعي لغرض السيطرة عليها اذا ما أستوجب الامر لذلك. وبناء على هذه المعطيات تم اختيار البحث للدراسة لألقاء الضوء وبيان طبيعة العلاقات التجارية بين هذه المدن ومصر القديمة .



مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد ١٨، العدد (٣)، لسنة ٢٠٢٢
College of Basic Education Researchers Journal. ISSN: 7452-1992 *Vol. (18), No.(3), (2022)*

Trade Relations Between The Cities of The Phoenician Coast and ancient Egypt

Saad Omar Mohammed Amen
University of Mosul / College of Basic Education

Abstract:

The research aims to shed light on a side of the commercial relations among the cities of the Phoenician coast and ancient Egypt, because of this relationship of great importance in the life of ancient Egypt, which was lacking raw materials which is used in shipbuilding and even in building, as well as in burial uses.

Wood is mainly used in it, and the cities of the Phoenician coast were characterized by dense forests with perennial trees and distinguished by high quality, important to the ancient Egyptians, so they established these relationships, whether they were commercial or also to control over this region.

The Phoenician trade movement deals with a lot of materials, pine wood, fruits, discarded beaches, fabrics and embroideries, leather, Judah tar, incense, slaves, perfumes, purple-red, precious stones, and glassware.

If we look at these materials, most of them are used for luxury purposes and more than a commodity with a necessary utility and often desirable to the pharaohs and higher positions most of these materials are used in planning processes.



تمهيد

تميزت مدن الشرق الأدنى القديم في شهرتها إلى مكانتها السياسية أو الدينية وهو الشائع في تاريخها القديم, وتمثل المدن الفينيقية حاله مختلفة فقد استغلت ظروف بيئتها الطبيعية وموقعها الجغرافي أحسن استغلال ونالت شهرة واسعة لم تستند إلى مكانة سياسية أو دينية فحسب, إنما كانت شهرتها تعتمد في الاساس على نشاطها الاقتصادي والذي هيأ لها مكانة تجارية مرموقة بين أقطار العالم القديم.

وتعد فينيقيا بمثابة الممر الرئيسي الضيق الذي يفصل اسيا عن افريقيا من جهة الشرق كون صحراء سورية الكبرى الواقعة وراء جبال لبنان عبارة عن اقليم لا يمكن اجتيازه عملياً, وعكس ذلك من ناحية فلسطين في الجنوب, إذ تتصل فينيقيا بشبه جزيرة سينا ومنها إلى داخل مصر نفسها, أما من جهة الشمال فالاتصال ممكن بأعالي بلاد الرافدين, ومن خلال هذا الموقع الجغرافي يمكن أن ندرك كيف كانت فينيقيا غير قادرة على ان تبقى منعزلة محايدة إزاء المنافسات التي تجاذبت العالم القديم, وكان عليها ان ترضخ لها, أو أن تنحاز إلى فريق منها, وبسبب موقعها كان ضمها يعد ضرورة من الضرورات التي حرصت على تأمينها الممالك القديمة لانتعاش مواردها التي تنتج من تجارتها ولمنفعة الاسطول الذي يجده الفالح بها [١].

وهكذا تأثر الفينيقيون إلى أبعد الحدود بالبيئة التي عاشوا بها واستجابوا لها استجابة كاملة, فشكل تاريخهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية, ذلك لأن الوطن الفينيقي الممتد على سواحل الشام على صورة شريط ضيق يقع بين البحر من الغرب والصحراء من الشرق أصبح بمثابة قنطرة يعبرها الغزاة القادمون من منطقة الجزيرة قبل نزولهم إلى وادي النيل كما تعبرها القوات المصرية القادمة من الوادي تتعقب الغزاة, وهم في طريقهم بعد دفعهم عن حدود مصر, كانت الجيوش المصرية تطرق بلادهم باستمرار وتحاصر مدنهم وتدك قلاعهم وتحملهم اسرى إلى مصر, وقد سجلت الآثار والوثائق المصرية هذه الصلة الوثيقة بين فينيقيا ومصر وهذا أيضاً كان سعي ملوك بلاد وادي الرافدين في السيطرة على هذه المنطقة وتوجه انظارها إلى صوب فلسطين ومنها إلى مصر [٢].

وقد اصبحت المدن الفينيقية في مهب التيارات العالمية وبين قوى عالمية كبرى قامت في وادي الرافدين ووادي النيل وفي آسيا الصغرى, وترتبت على ذلك نتائج بعيدة الأثر إذ لم يتمكن الفينيقيون نتيجة لذلك من اقامة دولة موحدة تصد هذه التيارات [٣]. وظلت بلادهم عبارة عن دويلات صغيرة تعيش في مدن محصنة ذات أسوار عالية وأبراج كبيرة يلجأ إليها السكان وقت الخطر ويحتمون بأسوارها ويتخذونها في اوقات السلم أسواقاً لتجارتهم, ونظراً لأن الفينيقيين لا



يميلون بطبيعتهم إلى النواحي السياسية بقدر اهتمامهم بالشؤون الاقتصادية كانوا يفضلون الأمان والاستقرار السياسي حتى يتمكنوا من تسويق تجارتهم وضمان وصولها الى المراكز التجارية المختلفة. ٤



مدن الساحل الفينيقي.....وعلاقتها التجارية مع مصر القديمة

أدت الأوضاع المحيطة بالساحل الفينيقي إلى ظهور ما يسمى بدويلات المدن حيث كان لكل مدينة حكومتها الخاصة بها, وعلى رأسها حاكم المدينة الذي يأتي بالوارثة, قد ينتقل الحكم منها إلى أسرة أخرى أو تنتزع الإمارة وتسلب نتيجة ثورة من عناصر تصبح لها الغلبة, ولم يكن سلطان الامير أو الحاكم أو الملك استبدادياً مطلقاً ذلك لأن التجارة تتطلب مغامرة وألواناً من النشاط لا يتفق وهذا اللون من الحكم , ومع ذلك كثيراً ما كان يحدث النزاع بين هذه المدن وكانت أكثرها تفوقاً تلك التي كانت وسائلها الدفاعية أكثر فاعلية , وأن بعضاً من تلك المدن كانت تشغل موقعين واحد على الساحل والآخر يمثل جزراً صغيرة كان يتم اللجوء اليها في أوقات الخطر , أدى هذا إلى ان يصبح لكل مدينة مرفأين أحدهما شمالي والآخر جنوبي تلجأ السفن لهذا المرفأ أو ذاك بحسب الفصول واتجاه الريح [٤]. وبديهي ان المدن المنيعة كانت أقدر من غيرها على البقاء والازدهار, كما أن هذه المدن الفينيقية المتفرقة بسبب المظاهر الطبيعية لم تترك الأمر هكذا وإنما حاولت جاهدة ايجاد نوع من الترابط يؤلف بينها ويجمع كلمتها وخاصة وقت الأخطار الخارجية , وقد تدفع المصالح المشتركة فضلا عن الاخطار الخارجية الى انشاء تحالف قوي بين عدة مدن بزعامة أفرها قوة لتعزيز الجانبين الامني والاقتصادي لتلك المدن[٥].

وكانت للطبيعة حكمها في تحديد مواقع هذه المدن , إذ كان العامل في اختيارها ووقوعها على نهر أو على مقربة من جبل يسهل معه الدفاع عنها , وكانت بعض هذه المدن تقام على البحر وعلى جزر متناثرة قريبة من الساحل ويتعاون البر والجزيرة في حماية المدينة والدفاع عنها.

مدينة اوغاريت (راس شمرا) :

ترجع اوائل اثار الحياة البشرية في هذا الموقع إلى العصر النيوليتي (ماقبل الفخار) ويبدو نتيجة للدراسة المقارنة مع مواقع أخرى, فكان موقع أهل بالسكان, ويشير تاريخ الأبحاث الأثرية إلى انه في عام ١٩٢٨م على مقربة من ميناء البيضاء (الميناء الأبيض) ١٦كم إلى الشمال من ميناء اللاذقية , وبالصدفة اكتشف احد الفلاحين قبراً أو بقايا قبر (خرب) اخطر ادارة الآثار في بيروت وتم التنقيب والبحث في عام ١٩٢٩م , واكتشف الباحثون ان التل يغطي بقايا مدينة قديمة واسمه العربي (رأس الشمرا) (ربما لكثرة ما ينمو عليه من نبات الشمر – اشمار)[٦].

وقد كشف في رأس شمرة عن نصوص مكتوبة بلغات عدة: الأكدية والمصرية والحثية والحميرية ثم لغات اخرى كانت مجهولة حتى ذلك الوقت , وأيضاً كشفت عدة مئات من الألواح والكسر احدثت ثورة في المعلومات عن الأدب الكنعاني , والمجموعة الأساسية فيها هي مجموعة




الملاحم والأساطير رغم وصولها غير كاملة , وأثناء الحفريات في اوغاريت امكن ابراز خمسة طبقات وتحتوي الطبقة الخامسة التي هي أقدم الطبقات على مواد يعود تاريخها إلى العصر النيوليتي, التي تليه ثقافة عرفت الأواني الحجرية الفخارية وهي قريبة من ثقافة شاغار – بزار, ثم تليها الطبقة الرابعة: وهي قريبة من الثقافة التي وجدت في تل حلف, فالطبقة الثالثة: العصر البرونزي المبكر التي يعود تاريخها إلى النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد فتظهر فيها الأواني الفخارية المصنوعة وفق النموذج الذي عرفناه في خربة قيداقة , أما الطبقة الثانية: فيعود تأريخها إلى العصر البرونزي المتوسط (النصف الأول من الالف الثانية قبل الميلاد) حيث غدت رأس شمرا (اوغاريت) مستوطنة غنية ومركزاً هاماً للتجارة الدولية , وأقامت علاقات وثيقة مع كل من مصر وبلاد وادي الرافدين , وخاصة مملكة ماري, الطبقة الأولى: ويعود تاريخها إلى العصر البرونزي الأخير من عام (١٤٥٠–١٢٠٠ ق.م) وهذه المرحلة تضيئها لنا مواد الأرشيف الخاص وارشيف الملك [٧].

ضمت الوثائق الموجودة في هذا الأرشيف العديد من المعلومات المهمة عن هذه المدينة والتي تتعلق بشؤون الإدارة الملكية مباشرة , ومن ضمن هذه الوثائق مختلف ضروب اللوائح والسجلات التي تسجل واردات القصر الملكي وصادراته , وكذلك تتحدث عن العلاقات السياسية الخارجية لمملكة اوغاريت [٨].

ومن ناحية أخرى لم تكن المساحة التي شغلتها مملكة اوغاريت كبيرة اذ كانت تحدها من الشمال منطقة موكيش, ومن الجنوب سيبيانو , وانتشرت على طول ساحل اوغاريت مجموعة من الموانئ التي كانت موجودة في المكان الذي قامت عليه اللاذقية وجبلة وأشاليغي وهذه تقع في الموقع المسمى قلعة الروس, ثم ميناء شوكسي (سوكاس حالياً) وهذه المواقع كانت عبارة عن مستوطنات يمارس سكانها صيد الأسماك والاستثناء الوحيد هنا ميناء المينه البيضاء حيث سارت عبره تجارة اوغاريت البحرية [٩].

الصلات التجارية:

كانت اوغاريت واحدة من أهم المراكز التجارية العالمية القديمة التي عرفت منذ منتصف الالف الثالث والنصف الثاني منه ٢٥٠٠ق.م. حيث تقاطعت الطرق البحرية المؤدية إلى مصر وآسيا الصغرى والغرب إلى بلدان حوض بحر ايجة, والطرق البرية التي وصلت مصر وفلسطين بآسيا الصغرى وبلاد وادي الرافدين , ومن خلال الوثائق التي تم العثور عليها يعتقد علماء التاريخ ان بداية الصلات التجارية بين اوغاريت وبلدان بحر ايجة تعود إلى بداية الالف الثاني قبل الميلاد

, كذلك تعد مصر من البلدان الأخرى التي كانت بينها وبين اوغاريت علاقات وثيقة استمرت مئات السنين وشملت مختلف مجالات الحياة, وقطاعاتها الحيوية [١٠].

لقد ازدهرت تجارة اوغاريت ازدهاراً عظيماً ونمت نمواً مذهلاً بفضل الامان الذي عم الطرق البرية والبحرية وبفضل الازدهار العام في بلاد الهلال الخصيب , واكبر شاهد مرفأ اوغاريت الذي أصبح له مكانة عظمى فهو مرفأ الترانزيت بين آسيا وعالم المتوسط , فكانت اوغاريت تستورد بضائع المتوسط وتبادلها مع منتجات سورية الشمالية والشرقية وسائر انحاء الداخل, كما كانت تجارة الخيول آنذاك رائجة بين مصر وفينيقيا فكانت البواخر الفينيقية تحمل من اوغاريت منتوجات المتوسط وبضائع اخرى ثمينة تأتي بها عن طريق البحر الأحمر كالذهب والبخور والعطور والحيوانات وتوزعها في سوريا الداخلية والعليا [١١].

وكانت تحمل بالمقابل من اوغاريت الخشب والنحاس وأدوات البرونز والأسلحة وأدوات الحديد , فكانت العلاقات الاقتصادية وثيقة بين مدن الساحل السوري ومدن الداخل, وازدهرت تجارة اوغاريت ازدهاراً هائلاً عندما ثبت فراعنة السلالتين الحادية والثانية عشر دعائم الملك في مصر, كما أقامت اوغاريت علاقات تجارية مع بحر ايجة , فبدأ تجار كريت ومسينيو اليونان يقيمون لهم مصارف فيها ويغذون تجارة نامية وأكبر دليل على ازدهار المدينة الاقتصادية صوامع الميناء لحفظ الحبوب والزيوت وسائر المنتجات وإسطبلات الخيل, ومن الوثائق العديدة على الازدهار الاقتصادي , احداها تذكر تعدد الهدايا التي ارسلها ملك اوغاريت إلى شوبيلوليوما الحثي واسرته وحاشيته ومنها كمية من الصوف الاحمر والارجواني وأواني الذهب والفضة [١٢].

ثانياً: مدينة ارواد:

قامت ارواد في شمال فينيقيا على احدى الجزر وتقابلها على الشاطئ ارواد الداخلية , وصف ((سترابو)) هذه الجزيرة التي قامت عليها ارواد بأنها كانت (في العصر اليوناني والروماني) مغطاة بالمباني بارتفاعات شاهقة ذات طرائق متعددة , وكانت تسمى ارواد في العصر الهلينستي ((انتاوادس)) وقد اطلق عليها الصليبيون (Tortosa) وهي اليوم ((طرطوس)) شمالي عمرين حيث لا تزال تشاهد بعض الآثار الفينيقية الهامة [١٣].

ومعظم معلوماتنا عن ارواد من مصادر غير فينيقية , فهي من المدن الرئيسية التي تعرضت للكثير من أطماع الشعوب المجاورة فقد هاجمها شعوب البحر ودمروها كما يستدل على ذلك من مظاهر التخريب الواضحة فيما عثر عليه من آثار, وعلى الرغم من صغر مساحة ارواد فقد سجل التاريخ انها كانت تسيطر على كثير من المدن المجاورة (سيميرا ومارثوس) على اننا




لا نعرف الكثير عن تفاصيل تخطيطها , وقد اشتهر أهل ارواد بأنهم ملاحون مهرة وكانت لهم فرق كبيرة في الاسطول الفينيقي ورسم على ظهر عملتهم الأولى ((سفينة)) وهي شعار المدينة(١٤).ولم يستول المصريين على أرواد الا خلال فترة حكم تحوتمس الثالث ١٤٩٠_ ١٤٣٦ ق.م في حملته الخامسة حوالي عام ١٤٥٨ ق.م , وفي نقوش الكرنك ما يشير الى ان الفرعون قد هدم ارواد.

ثالثاً: مدينة بيبلوس (جبيل) :

تدعى جبيل باللغة الفينيقية (تجلت جبال) أي صاحبة الحدود – لأنه فيما يبدو انها النقطة التي كان ينتهي فيها النفوذ الكنعاني الشمالي المتأثر بالحضارة البابلية والاشورية والحثية, ويبدأ الشطر الجنوبي الفينيقي الذي يتميز بتأثره بالحضارة المصرية الفرعونية, وتقع جبيل على بعد ٤٠ كم شمالي بيروت الحالية ويرجع تخطيطها إلى عصر البرونز وأهل جبيل يعتبرون مدينتهم أقدم مدن العالم قاطبة وقد بناها الاله (ايل) فيما تزعم اساطيرهم, فقد ظلت هذه المدينة إلى اخر ايامها القصبة الدينية لفينيقيا (١٥).

كان اسم المدينة عند المصريين القدماء يكتب حتى الاسرة الثانية عشر (١٩٩١–١٧٨٦ ق.م) (كبن) , ولعله تحريف للاسم الفينيقي (جبل) ثم اصبح (كبين) واطلق عليها اليونان اسم (بيبلوس) ثم اصبحت بالعربية (جبيل) , وترجع علاقتها مع مصر منذ اقدم العصور وكانت بحكم موقعها ذات مركز تجاري هام فنشأت بينها وبين جاراتها علاقات وثيقة وان كان البعض يرى انها خضعت للنفوذ المصري في كثير من عهودها, ومما يؤيد وجود هذه العلاقات العثور في انقاض معبد ببيلوس على اختام اسطوانية من الاسرة الثالثة , وكذلك على اواني قرابين تحمل اسم خع سخموي (الاسرة الثانية) وخوفو ومنكارع (الاسرة الرابعة) واوناس (الاسرة الخامسة) وتتي وبيبي الاول وبيبي الثاني (الاسرة السادسة) – ومن جهة اخرى فقد وجدت اخشاب الارز مستخدمة في مصر في المقابر والمعابد حيث سقفت بها مقبرة خع سخموي وصنعت منها مراكب الشمس ونواويس تماثيل الالهة كما دخلت في صناعة الاثاث الثمين الذي استعمله الملوك, فكانت مصر تستورد منها كميات كبيرة كما يستدل على ذلك من نص حجر بالرمو (١٦). حيث يشير إلى ان سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة (٢٧٢٣ ق.م) احضر اربعين سفينة محملة بأخشاب الارز, ويبدو ان العلاقات بين مصر وجبيل قد توقفت في فترة الاضمحلال الذي اعقب الاسرة السادسة حيث جاء في احد النصوص لهذه الفترة ان خشب الارز لم يعد يأتي لمصر يبدو ان علاقة مصر مع جبيل قد توقفت في عهد الاضمحلال الذي اعقب الاسرة السادسة وفي فترة حكم الهكسوس لا يعرف عن علاقة مصر مع جبيل , وأخذ النفوذ المصري في جبيل بالأفول إلى ان زال نهائياً في



عهد رعمسيس التاسع الذي احتجزت جبيل رسله فترة طويلة يحتمل انها بلغت سبعة عشر عاماً [١٧].

وأياً كان الأمر فإن (جبيل) فيما يبدو انها كانت على اتصال تجاري بالدلتا (مصر السفلى) منذ عصور ما قبل الاسرات, حيث وجدت جسور من جذوع الارز يعود تاريخها إلى ما قبل الاسرة الأولى (أي إلى عصر البداري) [١٨]. مما يدل على ان الخشب انما كان يستورد من لبنان منذ ذلك العصر السحيق, وهناك ما يشير إلى ان المصريين القدماء كانوا استوردوا من فينيقيا اخشاب الارز والصنوبر التي كانت تستخدم في مقابر الملوك في ابيدوس, وفي صناعة السفن الكبيرة على عهد الملك (عحا) مؤسس الاسرة الأولى, فضلاً عن استيراد الزيوت والخمور في اوان فخارية من جنوب سورية , وان التجار الأوائل كانوا يهتمون بإحضار زيت شجر الارز الذي جاء ذكره في نص من عهد (عبرح إيب) من الاسرة الأولى, كما عثر في مقابر الاسرات في مصر على اواني لها نفس الأشكال السورية او عليها رسوم تمثل الاواني السورية وكانت غالباً مملؤة بالزيت, والراجح انه جيء بها من سورية عن طريق البحر من ميناء جبيل , ويذهب بعض الباحثين إلى ان ميناء جبيل انما كان يقوم بدور الوسيط بين تجارة مصر وكريت [١٩].

رابعاً: مدينة صور :

تقع مدينة صور على بعد ٤٠ كم جنوب مدينة صيدا وتعد من أهم المدن الفينيقية قاطبة وقد عرفت لدى سكان المدينة باسم (صر) والذي يمكن ارجاعه إلى الأصل (طر) والذي يعني الصوان أو الحجر الحاد, دالاً بذلك على طبيعة الجزيرة الصخرية القاسية التي بنيت عليها المدينة وان كلمة صور تعني أيضا بالفينيقية (الصخرة) [٢٠].

وقد ورد ذكر المدينة في نقوش الكرنك على عهد الملك المصري تحوتمس الثالث (١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م) بهيئة(ص ر) وهي تكاد تكون قريبة للفظ(صر) الفنيقية , ويستدل من الشواهد الأثرية والتاريخية على ان موقع المدينة كان عامراً منذ القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد حيث اشار هيرودت إلى ان كهنة صور ذكروا له ان معبد الاله ملقارت الذي كان قد بني فيها قبل زيارته لها (٤٥٠ ق.م) بنحو (٢٣٠٠ سنة ق.م) , وتشير الاساطير الصورية جنساً من اصناف الالهة جاء بعد خلق الكون تلاه جنس من العمالة اخترعوا ما أفاد العالم ومن هؤلاء أوزس الصياد (وهو اسطوري) الذي أول من خاطر بركوب البحر فوق جذع شجرة رسا به على جزيرة من جزر الساحل السوري, وأقام بها عمودين احدهما لنار والآخر للريح وقدم القرابين وفي نفس الوقت أسس مدينة صور [٢١].



لقد ورد ذكر صور للمرة الاولى كما اشرنا سابقاً في نصوص مصرية وتعرف الـ(Exercration texts), وحسب ما ورد في هذه النصوص المختلفة تبدو مدينة صور كمملكة مستقلة منذ بداية الالف الثاني ق.م. وكانت سياستها في هذه الفترة المبكرة معادية لمصر إذ انها ذكرت على لائحة الممالك المعادية للفرعون , وفي أواخر الالف الثاني ق.م. خضعت صور للحكم المصري, وكانت على قسط وافر من الثراء والنمو الاقتصادي إذ ان ملكها كان له قصر يضاهي بجماله قصر ملك اوغاريت بحسب ما جاء على لسان ملك جبيل (رب اده) الذي ذكر في رسالته لفرعون مصر : **(ألن يستعلم الملك بشأن والي صور لأن ملكه واسع وسع البحر. أنا أعرف ذلك أنظر ليس هناك قصر والِ كقصر صور فهو يشبه قصر اوغاريت وكثيرة جداً هي الثروات الموجودة داخله)** ويدعى ملك صور (ابي ملكي) وهو الملك الوحيد الذي ورد اسمه كاملاً لهذه الفترة [٢٢].

لعب الموقع الجغرافي لمدينة صور دوراً كبيراً في مناعتها عبر التأريخ وصمودها بوجه الغزاة ومما زاد في اهميتها موقفها الصمودي في مواجهة الأخطار الخارجية كما كانت مقراً لبناء السفن , وقد ابحر الصوريون إلى مناطق مختلفة وبنوا فيها قواعد لحماية سفنهم من عواصف الشتاء ما ادى إلى ازدياد منافسة الصيداويين لهم في الالف الرابع ق.م من جهة والبابليين من جهة اخرى , إذ فرض عليها نبوخذ نصر حصاراً دام خمسة عشر شهراً الا انه فشل بسبب المقاومة القوية التي ابداها اهل صور, فضلاً عن حصانة موقعها, وبعد ان قضى اسكندر المقدوني على السيطرة الفارسية سنة ٣٣٠ ق.م فرض حصار على صور وأمر بهدم اسوار المدينة القديمة لاستخدام حجارتها في بناء رصيف بين الساحل والمدينة, وعلى الرغم من شدة المقاومة التي أبداها اهل صور الا ان الاسكندر تمكن من فرص سيطرته على المدينة بعد حصار دام سبعة اشهر, وبقيت صور قابعة تحت السيطرة الاغريقية حتى وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق.م ثم انقسمت ممتلكاته بين قادته, فأصبحت صور تحت السيطرة الرومانية عام ٣٢٦ ق.م فانتقلت تبعية المدينة إلى الامبراطورية البيزنطية في السنة ذاتها حتى التحرير العربي الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سنة ١٢هـ/ ٦٣٣م [٢٣].

مدينة صيدا:

تقع صيدا على بعد ٤٥ كم إلى الجنوب من بيروت, ومسافة ٤٠ كم شمال مدينة صور (أي في مكان وسط بين بيروت وصور) في سهل ساحلي شديد الخصوبة وافر المياه , ولكنه



ضيق ينحصر بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية وبين البحر يصل اتساعه إلى ما يقرب من ميلين [٢٤].

وقد انشئت المدينة في بادئ أمرها على رأس جبلي اختاره القوم على اغلب الظن بسبب المرفأ الممتاز الذي كان يتألف من سلسلة من الجزر الصغرى المتصلة بعضها بالبعض الآخر بارصفة صناعية وكان موقعه على جهة الشمال, و من ناحية الجنوب تتصل بمرفأ آخر يسمى (المرفأ المصري) وهو أكبر من الشمالي , وهناك من ناحية البر سور لحماية المدينة , وأما قلعة صيدا الحالية وتسمى (قلعة البحر) فترجع إلى أيام الحروب الصليبية وتقع على أكبر الجزر التي قامت عليها المدينة [٢٥]. واشتق اسم (صيدا) من الصيد أي صيد السمك واليها ينتسب الاله الفينيقي الوثني (صيدون) وعرفت صيدا في الاشورية باسم (صيدونا) , وفي اللاتينية (صيدون) أو (صيدونيا) وفي رسائل تل العمارنة المصرية (صيدونو) وفي العربية (صيدون) أو حتى (زيدون) وعند الصليبيين (ساجيتا) كذلك عرفت باسم (صيدا) وكذا باسم (اربل) يقول ياقوت الحموي في معجمه (اربل اسم مدينة صيداء التي بالساحل من ارض الشام , ولعلها سميت اربل) عند العرب من الربل أي كثرة الشجر وقد أشار ابن فضل الله العمري إلى ان كورتها كثيرة الاشجار غزيرة الأنهار [٢٦].

وقد نمت صيدا نمواً هائلاً وازدادت مواردها, فاضحت كعبة التجار والمغامرين وتضاعف عدد سكانها حتى بلغ الخيال بالبعض ان يصل بهم – بعد القرن العشرين قبل الميلاد – إلى مليونين ونصف, مع ان المدن الكبرى في التاريخ القديم – مثل منف وطيبة وبابل وغيرها – لم تعرف رقم المليون أبداً لعدد السكان , وكانت مدينة صيدا نفسها منقسمة إلى محلتين الواحدة صيدون الكبرى وهي الرابضة على شاطئ البحر والأخرى صيدون الصغرى وهي التي تقع على مقربة منها قريباً من الجبل [٢٧].

اشتهرت صيدا بصناعة الصبغ الارجواني والزجاج وبناء السفن والتعدين , وأما صناعة الارجوان المنسوب إلى صور, ليس هناك من دليل على انها سبقت صيدا إلى اكتشافه[٢٨]. وعمل أهل صيدا في نسج الصوف والكتان وصبغهما , وكذلك اشتهروا في صناعة الزجاج ولاسيما الشفاف منه , وأنشأوا لصناعته معامل مهمة وكانت مصانعهم في (صيدون) وأشهر مصانع من نوعها في العالم وقت ذاك , وبرع أهل صيدا في صناعة الأواني الخزفية وكذلك في صناعة الحفر والنقش وصب الذهب والفضة ومختلف المصنوعات المعدنية والمصنوعات النحاسية والاسلحة, وحلي العاج وزراعة الكروم واستخراج الخمور منها , واحرزوا في صناعة السفن نصيباً وافراً من المجد والشهرة , وكانوا أسبق الأمم في ركوب البحر والتوغل فيه [٢٩].



أما ما يخص العلاقة بينها وبين مصر كانت صيدا في معظم تاريخها تتبع مصر ومنذ عهد (تحوتمس الثالث ١٤٩٠-١٤٣٦ ق.م) بعد قضائه على نفوذ الحثين في فينيقيا , وهذا لم يكن يمنع الفينيقيين من الدفاع عن وطنهم واستقلالهم أو الدفاع ضد المغيرين وعلى أية حال فلقد سجلت حروب (رعمسيس الثالث ١١٨٢-١١٥١ ق.م) آخر الانتصارات المصرية في فينيقية[٣٠].

الخاتمة

لقد اضطرت مدن الساحل الفينيقي منذ بداية التاريخ إلى ان توفي حاجة مصر من المواد الأولية وخاصة الأخشاب التي تستخدم لبناء المراكب وللبناء وللتوابيت, وكان لبناء الأساطيل البحرية اهمية كبيرة بالنسبة لمصر للقيام بحملاتها البعيدة وأغلب أخشاب هذه الأساطيل هي من المدن الفينيقية, وذلك لاشتهار اخشاب هذه المنطقة بالجودة الفائقة ويبرز هذا من خلال كُتّاب الفراعنة الذين امتدحوه في كتاباتهم, واقدم اشارة في النصوص المصرية تشير إلى اقليم بيبلوس وكان المصريين يطلقون عليه تسمية اقليم نجاو, ولا يعود ذلك لسبب ان اشجار لبنان كانت اقل جودة من اشجار صيدا وصور, بل يعود ذلك ان العلاقات التجارية بين مصر القديمة كانت جارية مع بيبلوس.

ومن خلال ما تم ذكره ومن خلال النصوص المصرية التي تم العثور عليها بعد عمليات التنقيب, ان ذكرت كثيراً العلاقة التجارية بين مصر القديمة ومدينة جبيل بيبلوس, وانعكست هذه التجارة وان كانت اقل مع بقية المدن الفينيقية الأخرى والتي لا تقل أهمية عن مدينة جبيل الفينيقية.



الهوامش:

---

(١) كونتينيو,ج. الحضارة الفينيقية, ترجمة, د. محمد عبدالهادي شعيرة, مراجعة د. طه حسين, القاهرة, ١٩٥٦, ص٢٨-٣٣.

(٢) ميخائيل,نجيب, مصر والشرق الأدنى القديم, ج٣, سورية, الاسكندرية ١٩٦٦, ص٤٧.

(٣) موسكاتي,سستبيانو, الحضارات السامية القديمة, ترجمة يعقوب بكر, القاهرة, ١٩٦٨, ص١٢٠.

(٤) المصدر نفسه, ص٩١.

(٥) عصفور,محمد ابو المحاسن, معالم حضارات الشرق الأدنى, الاسكندرية, ١٩٦٤, ص١٥٨.

(٦) ميخائيل,نجيب, المصدر السابق, ص٥٧.

(٧) مجتمع اوغاريت التأريخ الاقتصادي والسياسي والبنية الاجتماعية في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد, دمشق, ١٩٨٨, ص١٠.

(٨) المصدر نفسه, ص١١.

(٩) المصدر نفسه, ص١٣.

(10) H. Nelson, JNES, 1943, p.45.

(١١) كوسي,جورج, اعرق الحضارات, دمشق, ٢٠٠٦, ص٦٣. ينظر كذالك: W.F.Edgeton and J.A. Wilson, Historical Records of Ramsses III, Chicago, 1936, p.35-55.

(١٢) المصدر نفسه, ص٦٤.

(13) Strabon the Geography of Strabo, translated by H. L. Jones, London, 1960, p.18. f.

(١٤) زايد,عبدالحميد, الشرق الخالد, القاهرة, ١٩٦٦, ص٢٤٧.

(١٥) ديورانت,ول, قصة الحضارة – الجزء الثاني – ترجمة محمد بدران – القاهرة, ١٩٦١, ص٣١٣-٣١٤.

(١٦) حجر بلرمو موجودة في متحف بلرمو صقلية – كانت جزءاً من قائمة باسماء الملوك وأهم الأحداث في عهودهم من أقدم العصور حتى الأسرة الخامسة.

(17) Wilson, J. "Egyptian Oracles and prophecies" in Pritchard, J.B., "Ancient Near Eastern Texts Relating to the old Testament" p.441.

(18) G. Brunton and caton Thompson, The Badarain Civilization, C. 1928, p.627.

(١٩) زايد, المصدر السابق, ص١١٥. ينظر كذلك: الناضوري,رشيد, اقدم الصلات حضارية بين مصر ولبنان, د.ت, ص٢١.

(٢٠) عرب,معن, صور حاضرة فينيقيا, بيروت, ١٩٦٩, ص٥.

(21) Hall, H, R., "The Ancient Hististory of the Near East" 11th ed. (London 1963),



p.293.

(٢٢) صابر,ايلان, صور في العصرين البرونزي والحديدي: تاريخ وآثار المدينة من الالف الثالث إلى أواخر الالف الأول ق.م, وقائع المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور ١٥-١٦ حزيران, بيروت, ١٩٩٦, ص٣٧.

(٢٣) جاسم, ناصر عبدالرزاق الملا, حميدي,فتحي سالم, صور في مواجهة الغزو الصليبي (٤٩١-٥١٨هـ/ ١٠٩٧-١١٢٤م), مجلة تاريخ العرب والعالم, العدد ٢٠١, لبنان ٢٠٠٣م, ص٧٤-٧٥.

(٢٤) ينظر: F.C.Eislen, astudy in Orienal history, New York, 1907, p.2

(٢٥) سالم,عبدالعزيز, دراسة في تاريخ صيدا في العصر الإسلامي, بيروت, ١٩٧٠, ص١٠.

(٢٦) الحموي,معجم ياقوت ١٤٠/١, القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشاء, ١١١/٤, ينظر كذلك: فريحة,انيس, اسماء المدن والقرى اللبنانية – بيروت ١٩٥٦, ص٢٠٣.

(٢٧) الخوري,منير, صيدا عبر حق التاريخ, بيروت ١٩٦٦, ص١٨-١٩.

(٢٨) كانت هناك رواية متداولة عن: كلب ابنة ملك صور قد تلون منه بلون أحمر بنفسجي يوم كانت منتزه على شاطئ البحر, وعند بحث عن سبب تلونه وجود صدف ((الموريكس)) الموجود على الشواطئ: ينظر: الخوري, المصدر نفسه, ص٢٩-٣٠.

(٢٩) المصدر نفسه, ص٣٢.

(30) J. A. Wilson, The culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p.257.